الأمراض المتوطنة وطرق علاجها في المغرب الإسلامي

Endemic diseases and the ways of treatment in the Islamic Maghreb

أ. شواكري، منير جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان- الجزائر

ملخص: زودتنا المصادر سواء كانت تاريخية أو متخصصة في علم الطب بمعلومات قيمة حول مجموعة من الأمراض المنتشرة في بلاد المغرب الإسلامي، فبيّنت بالتفصيل عددا كبيرا منها مبرزة الأمراض الخطيرة والأخرى الأقل خطورة، ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع تبيّن لنا أن معظم هذه الأمراض كانت معروفة من قبل الناس فضلا عن الأطباء إلاّ بعضا منها كمرض الزهري الذي لم يكن معروفا في هذه البلاد، بالإضافة إلى أمراض أخرى مجهولة سجلتها لنا كتب التاريخ، وقد ركزنا في هذه الدراسة على الأمراض المتوطنة والطرق المستعملة في علاجها، وقد لاحظنا أن سكان بلاد المغرب تميّزوا بثقافة العلاج التقليدي أكثر منه العلاج التجريبي العلمي.

الكلمات المفتاحية: الأمراض المتوطنة، العصر الوسيط، طرق ووسائل العلاج.

Abstract: The historic resources or that specialized in the science of medicine, Has brought us valuable information on the most common illnesses in the Islamic Maghreb, It has set out in detail a large number of them, ighlighting the serious and less dangerous, And by our study of this subject before we found that most of these diseases are known by gents single as well as by doctors, With the exception of some of the diseases that have not been known in this part of the world such as syphilis, As well as other unknown diseases mentioned in the history books, We focused in this study on the endemic diseases and the methods used in their treatment, We have noticed that the Maghreb have a culture of treatment more traditional than the therapy scientific experimental.

Keywords: Endemic diseases, The Medieval Era, Ways and means of treatment.

مقدمة:

سجل التاريخ للمسلمين تفوقهم في مجموعة من العلوم على غرار علوم الطب والهيئة والرياضيات والكيمياء، والتي ترجمتها أوروبا فكانت لها أكبر سند في الإرساء لمنظومة تعليمية سوف يكون لها الدور الكبير في نهضتها، وقد ظهر في بلاد الإسلام مجموعة من الأطباء وضعوا بصمتهم في هذا المجال كالرازي وابن سينا وبني زهر وابن الجزار والزهراوي ...الخ، ولم تتعرض مؤلفاتهم للتخريب أو التلف على العموم ربما لشرف مهنة الطب وحاجة الناس إليها مسلمين كانوا أو غيرهم.

لم تسلم بلاد المغرب الإسلامي من الأوبئة والأمراض كغيرها من البلاد وذلك راجع لأسباب عديدة منها ما هو مرتبط بالمناخ والموقع الجغرافي، وأخرى كانت نتيجة اتصال شعوب هذه البلاد بالشعوب الأخرى على وجه الخصوص أوروبا، ومن دوافع هذا الاتصال الحروب والهجرة والتجارة..الخ. وبطبيعة الحال انتشرت مجموعة من الأمراض اختلفت من حيث درجة الخطورة أو حتى من حيث مدى توطنها من عدمه، وعليه نسعى من خلال هذا البحث للتعرف على بعض هذه الأمراض التي شهدتها هذه البلاد والطرق المتاحة التي ساعدت في شفاء الناس منها.

فكيف بدأ الطب عند العرب؟ ما هي أسباب ظهور الأمراض وانتشارها؟ ما هي أهم الأمراض التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي؟ كيف تعامل معها الطب المغربي ؟ وما هي أهم طرق العلاج؟.

1. **أصل الأمراض في المجتمع الوسيط:**

أ.علم الطب وعلاقته بالمسلمين:

الطب هو فرع من فروع الطّبيعيات وهو ينظر في بدن الإنسان حالة مرضه وصحته، ومداره حول حفظ الصحّة والبرء من المرض بالأدوية والأغذية(عبد الرحمن بن خلدون، 2012، ص531)، ورد في كتاب تسهيل المنافع قول النبي الله صلى الله عليه وسلم:(العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان، والعلم علمان علم الدين وعلم الدنيا فالذي للدين فهو الفقه، والعلم الذي للدنيا فهو الطب)،(الأزرق إبراهيم، دس، ص2) (التعليق رقم1).

عرف العرب قبل الإسلام الطب الشعبي الذي يعتمد على التجارب العلمية البسيطة، ويستخدم كذلك الأدوية البسيطة كالحجامة والكي والبتر والفصد والحمية، والأشربة الطبيعية كالعسل واستخدموا الأعشاب الطبيعية لمعالجة بعض الأمراض، ومن أطباء العرب في العصر الإسلامي الحارث بن كلدة(عبد الرحمن بن خلدون، 2012، ص532) وهو من قبيلة ثقيف تداوى عنده الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلّم (راغب السرجاني، 2009، ص26-27)، كما اعتمدوا على العلاج بالتمائم والتعاويذ، ولم تكن لهم دراية إلا بالقدر الضئيل من الطب التجريبي(راغب السرجاني، 2009، ص26-27).

فلما جاء الإسلام فتحت الباب أمام الطب التجريبي تحقيقا للمبدأ القائل بأن العلوم الكونية لا تدخل في صميم الرسالة النبوية غير أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك هذا المجال دون توجيه، فمن الأحاديث الداعية إلى الاجتهاد في مجال الطب ما رواه جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال:(لكلّ داءٍ دواءٌ، فإذا أصيب دواء الدّاء برء بإذن الله تعالى)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلّم قال:(إنّ الله عز وجل لم ينزل داء إلاّ انزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله)(راغب السرجاني، 2009، ص29-30).

من المعلوم أن العرب بعد الإسلام تأثروا بالحضارتين البيزنطية والفارسية فقاموا بترجمة الكتب الفلسفية والعلمية منذ عهد مبكر وأول من قام بذلك خالد بن يزيد بن معاوية(85ه/704م) والمعروف بحكيم آل مروان، ذلك أنه لما أبعد عن الخلافة اهتم بعلم الكيمياء محاولا تحويل

المعادن إلى ذهب، فاستدعى جمعا من علماء اليونان من الإسكندرية وأمرهم بترجمة كتب الكيمياء من اليونانية إلى العربية، إلاّ أن هذه الترجمة كانت بشكل فردي حتى جاء العصر العباسي الذي اهتم بهذا العلم اهتماما بالغا فظهر ما يعرف (ببيت الحكمة) وهي أول جامعة في بغداد، وكان عصر المأمون(218-198ه/813-833م)عصرا حافلا بالترجمة(عماد الدين الجبوري، 2013).

لم يكتفي العرب بترجمة الموروث الثقافي والعلمي الإغريقي والفارسي بل تعدى الأمر إلى تعلم الإغريقية وقراءة كتب الإغريق وتطور الأمر بهم في هذا المجال حتى أنهم ألفوا القواميس على غرار(القاموس العربي-الإغريقي، والقاموس العربي–اللاتيني، وكذا القاموس العربي–الإسباني)، والذي ميز العرب تفوقهم على أوروبا وذلك بتطويرهم لعلوم الإغريق، في الوقت الذي عجزت فيه أوروبا عن تحقيق ذلك خلال العصور الوسطى(Gustave le bon, 2009,p396)

ب. أسباب الأمراض التي تصيب البدن البشري:

ب.1 مفهوم المرض

بداية يجب أن نعلم أن المرض نوعان: مرض القلوب ومرض الأبدان، فأما الأول دليله من القرآن قوله تعالى: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾(البقرة:10)، وقوله:﴿ وليقول اللذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾(المدثر:31)، ودليل الثاني قوله تعالى:﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ (البقرة:184)، وقوله: ﴿ فمن كان منكم مريضا أو به أذى... ﴾ (البقرة:196). فأما طب القلوب فعلاجه يكون بإتباع الرسل، وأما طب الأبدان فيكون إما تلقائي كأن يعالج الجوع بالأكل والعطش بالشرب، وهذا النوع يشترك فيه الإنسان والحيوان، ويكون كذلك تجريبي يحتاج فيه إلى فكر الإنسان وتأمله ومن ثم تدخله بالتجربة فالعلاج (ابن القيم الجوزية، 1998، ص5-8). ومرض الأبدان كما يصفه الأطباء هو حالة يكون فيها العضو في الجسم فاشلا كليا أو جزئيا عن أداء وظيفته(راغب السرجاني، 2009، ص74).

ب.2 أمراض الأبدان ومسبباتها:

1.البَرْدة (التخمة): يؤكد عبد الرحمن بن خلدون أن أصل أمراض البدن التغذية، ويستدل بالحديث الشريف الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم :(المعدة بيتُ الداء، والحمية رأس الدواء، واصل كل داء البَرَدَةُ) (التعليق رقم 2). والتخمة هي إدخال الطعام بعد الطعام في المعدة قبل أن يهضم الأول، وهذا يسبب ظهور ما يعرف بالحمى في البدن(عبد الرحمن بن خلدون، 2012، ص430-431).

ثم يبين ابن خلدون أن سكان الحواضر والأمصار أكثر تعرضا لهذه الأمراض الناتجة عن كثرة الأكل، وأكثر من ذلك عدم اقتصارهم على نوع واحد من هذه الأطعمة، بل يخلطونها مع التوابل والبقول والفواكه فيصبح للغذاء مزاج غريب غير ملائم للبدن فتفسده، أما أهل البدو فغالب عليهم قلّة المأكل لعَوَزهِم، قلّما يأكلون الأُدْمَ (التعليق رقم3)، ويكتفون بالأغذية البسيطة(نوع واحد من الغذاء)(عبد الرحمن بن خلدون، 2012، ص432).

2.فساد الهواء والماء: الهواء والماء من ضروريات العيش فبدونهما تستحيل الحياة، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء:30)، ومع ذلك يمكنهما أن يفسدا فيكون ذلك عاملا رئيسيا لحدوث الأمراض والأوبئة، فالهواء مثلا يفسد لأسباب عديدة كزيادة الرطوبة أو الحرارة فتتعفن المواد العضوية نتيجة لذلك، أو لمخالطته الأبخرة المتعفنة كتلك التي تخرج من مطامير الغذاء الفاسد، أو تلك التي تنتج عن تعفن أجساد البشر والحيوانات المتروكة دون دفن، وتعد الحروب من أهم

أسباب حدوث هذه الأوبئة، كما يفسد الهواء بسبب كثرة الأبنية أو ما يعرف بتوسع المدينة(مزدور سمية، 2008-2009، ص118-119) (التعليق رقم 4).

ومن ذلك تلك الإشارة التي ذكرها العقباني حول تلمسان وأنها عانت من آفة إلقاء الزبالة بالأفنية والطرق، وأكد أن المارة كانت تتأذى بالتضييق عليها في الطريق بهذه القمامات المتراكمة، وكثرة النجاسات والتلوث الحاصل جراء ذلك، وهذا كله يفسد الهواء لا محالة(العقباني التلمساني، 1967، ص65).

وكذلك للمياه الفاسدة الدور الفعال في ظهور الأمراض وتوطنها، وخاصة إذا كانت هذه المياه راكدة غير جارية، وأسباب تلوث المياه عديدة في المدن ومن ذلك عدم توفرها على قنوات الصرف الصحي أو فسادها، كذلك كثرة القاذورات وعدم التمكن من التخلص منها..الخ(مزدور سمية، 2008-2009، ص119).

3.تغير المناخ وعدم انتظامه: عدم انتظام المناخ من الأسباب الفاعلة في ظهور الأمراض وانتشارها، كأن يبرد الطقس في فصل الصيف وتهطل الأمطار لأيام عديدة(إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، ص102)، أو إرتفاع الحرارة في فصل الشتاء، ومعروف أن قلة الأمطار في وقتها تؤدي إلى حدوث الأوبئة كالحمى الوبائية على سبيل المثال وكل ذلك نتيجة تعفّن الهواء(مزدور سمية، 2008-2009، ص119-120).

4.المجاعة: يمكن أن تحدث الأوبئة نتيجة ظهور المجاعة فيضطر الناس إلى أكل ما يتوفر لهم كأكلهم الحبوب المتعفنة واللحوم الرديئة كلحوم الجيف والجرذان والكلاب، إلاّ أن المجاعة لا تعني حدوث الأوبئة بالضرورة، إذا يعتمد ذلك على المناخ والموقع الجغرافي لكل منطقة، فمثلا المجاعة التي حدثت في بجاية سنة 588ه/1192م أعقبها وباء عظيم، أما المجاعة التي تعرضت لها تلمسان الزيانية إبّان الحصار المريني(706-698ه/1298-1307م) لم ينجر عنها حدوثا للأوبئة(مزدور سمية، 2008-2009، ص120-121).

5.التأثيرات الفلكية والروحانية: تكلم جمع كبير من المؤرخين وعلماء الفلك وبعض الأطباء وغيرهم حول إمكانية تعرض الإنسان للمرض(الأوبئة الفتاكة والطاعون) لأسباب خفية يرجعونها إلى التأثيرات الفلكية والروحانية على الأبدان، وقد ذهبوا إلى أن هذه الأمراض تحدث لأسباب فلكية كاجتماع الكواكب واتصالها بعضها ببعض وقد كان لابن الخطيب قول في إمكانية حدوث ذلك، لكنهم فرقوا بين الوباء والطاعون، فالوباء سببه فساد الهواء أما الطاعون فهو وخز من الجان(مزدور سمية، 2008-2009، ص120-121).

والطاعون أخص من الوباء وهو ليس ناتج عن فساد الهواء فلو كان كذلك لعم الناس والحيوان، إذ نجد أن الطاعون يحل ببيت ولم يمس بيتا آخر مجاورا له، وقد يدخل نفس البيت فيصيب بعض أفراده ويسلم البعض الآخر(الحافظ بن حجر، دس، ص105)، وللأسباب السحرية دور مثبت في حدوث الطاعون لسهام ترميها الجن فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (فناء أمتي بالطعن والطاعون)، قيل: يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفنا، فما الطاعون؟ قال:(وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهادة)(الطبراني أبي القاسم سليمان، 1995، ص367-368)، أما الأطباء فيرجعون الطاعون لمادة سمية أو لهيجان الدم وانصبابه إلى العضو، فعلماء الدين تلقوا أخباره من عند الشارع أما الأطباء فأدركوه بالعقل وبالتجربة ولا تعارض بين الفريقين. كذلك ربط الطاعون بأمور فلكية ككثرة الشهب والرجم في آخر الصيف (الحافظ بن حجر، دس، ص105)،(أحمد السعداوي، دس، ص132).

2.أهم الأمراض المنتشرة في المغرب الإسلامي:

يجب أن ننتبه إلى أن مسألة ظهور وانتشار الأمراض في بلاد المغرب لم تكن بنفس الكيفية وإنما ارتبطت بعوامل مختلفة كنوع المناخ وشكل التضاريس، فالمناطق الساحلية المطلة على

البحر المتوسط تكون أكثر عرضة للوباء نتيجة الحرارة والرطوبة الزائدتين، والبلاد التي تكون سهلية تكون أكثر عرضة للأوبئة والأمراض من الجبلية لأن الهواء يكون راكدا غير متحرك فيساهم في ارتفاع الرطوبة، أما الأراضي الواقعة مشرقا ومغربا فهي متوسطة الحال في مدى قابليتها للمرض على التفاوت الذي يوجد بينها، فبلاد المشرق أقل عرضة للأمراض من البلاد المغرب، وكذلك يمثل نمط المعيشي عامل أساسي في هذا الانتشار، فالمناطق الأكثر كثافة بالسكان كالمدن تكون أكثر عرضة للأمراض لتلوث هوائها مما تنتجه البيوت والأسواق من فضلات،على خلاف الأرياف وما تحويه من قرى ومداشر(مزدور سمية، 2008-2009، ص122-123). كذلك طبيعة أكلهم التي تختلف من المدينة إلى الريف وقد أشرنا إلى ذلك في بداية البحث (عبد الرحمن بن خلدون، 2012، ص432)، وعلى كل حال عرفت بلاد المغرب مجموعة من الأوبئة والأمراض نذكر منها:

أ.**الأوبئة الفتاكة:** وأهمها في بلاد المغرب:

الطاعون la peste : قال أبو الوليد الباجي(التعليق رقم 5)عن مرض الطاعون(هو مرض يعم الكثير من الناس، في جهة من الجهات، بخلاف المعتاد من أمراض الناس، ويكون مرضهم واحدا، بخلاف بقية الأوقات، فتكون الأمراض مختلفة)(الحافظ بن حجر، دس، ص95-96)، وهذا الوباء يظهر في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات، أو خمس عشر أو خمس وعشرين سنة، وعندما يأتي يذهب بالعدد الكبير من الناس(الحسن الوزان، 1983، ص85).

وهو مرض قديم سلطه الله على البشرية بمثابة الرجز والعذاب، ولقد وردت فيه أحاديث شريفة عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله :(إن هذا الوجع-أو السقم- رجز عذب به بعض الأمم قبلكم، ثم بقي بعد في الأرض، فيذهب المرة ويأتي الأخرى) أخرجه ابن خزيمة من طريق ابن وهب(الحافظ بن حجر، دس، ص76)، والطاعون (مرض معروف، وهو بَثْرٌ وورم مؤلم جدا، يخرج مع لهيب، ويسود ما حواليه أو يخضرّ أو يحمرّ حمرة بنفسجية كدرة، ويحصل معه خفقان القلب والقيء، ويخرج في المراق والآباط غالبا، وفي الأيدي والأصابع وسائر الجسد)(الحافظ بن حجر، دس، ص97).

الجذام lèpre**:** (الجذام علّة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله، فيفسد مزاج الأعضاء وهيأتها، وربما انتهى إلى تأكل الأعضاء وسقوطها عن تقرّح)(الفيروز آبادي، 2005، ص1086)، والجذام ثلاثة أنواع أحدهما على شكل دماميل يتقرّح ويتقشّر، وهو ما يعرف بداء الأسد، والثاني هو كالنقود أو أكبر يزيد حجمه ويكون أملس وقد يبيض أو يسود على حسب الشخص المصاب، والنوع الثالث على هيئة الجرب وله نفس أعراض سابقيه أو بعضها ويكون وجه المصاب أكثر تغيرا(الأزرق إبراهيم، دس، ص161)، كان هذا المرض موجودا في بلاد المغرب والأندلس وقد وردت نازلة على الإمام ابن رشد في مسألة إمامة المجذوم (ابن رشد أبو الوليد، 1993، ص792-793).

الزهري syphilis**:** أو داء الإفرنج، وهو داء ينتقل بالاتصال الجنسي وقد انتشر بكثرة في بلاد البربر وهو من الأمراض الفتاكة والمذلة في نفس الوقت لأن المصاب كان يطرد من بيته ويسكن مع مرضى البرص خوفا من أن يؤذي الناس(الحسن الوزان، 1983، ص83-84)(التعليق رقم 6).

ب.الأمراض المتوطنة: بالإضافة إلى الأوبئة والطواعين الفتاكة التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي انتشرت أمراض أخرى أقل فتكا إلاّ أن الحروب وكثرة الفتن ساعدت على انتشارها في أوساط المجتمع خاصة في طبقة الفقراء ومن أهم هذه الأمراض يمكن أن نذكر:

1.الأمراض الجلدية: انتشرت الأمراض الجلدية في بلاد المغرب لأسباب مختلفة ذكرناها آنفا، منها ما كان مزمنا وفتاكا ومنها ما كان غير ذلك، يمكن أن نذكر بعضها:

مرض القرع: وهو من الأمراض الجلدية التي تصيب رؤوس الأطفال والنساء البالغات والشفاء منه يكون بعد زمن ومشقة (الحسن الوزان، 1983، ص83)و(عبد العزيز فيلالي، 2002، ص244). وهذا المرض عبارة عن قروح تصيب الرأس وهناك أمراض أخرى تشبه القرع وهي داء الحية وداء السعفة يصيبان شعر الصبيان وأحيانا وجوههم (إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، ص102).

مرض الدماميل والأورام: التي تصيب الأطفال أكثر وقد أصيب بها ابن مرزوق في صغره(مزدور سمية، 2008-2009، ص142).

مرض الجرب(la gale) والبرص(lèpre) والبهاق(Vitiligo): من يصنف مرض الجرب مع زمرة الأوبئة ومع ذلك فقد كان واسع الانتشار في بلاد المغرب، و يعود سبب الإصابة بمرض الجرب حسب الوزان إلى الإكثار من أكل الزيتون والجوز وغيرهما من الأطعمة الخشنة، كما عرف مرض البرص في بلاد المغرب الإسلامي حيث كان يتعرض من أصيب به إلى العزل بعيدا عن الناس(الحسن الوزان، 1983، ص83-84)، وهذه الأمراض كانت واسعة الانتشار في بلاد المغرب (إبراهيم القادري بوتشيش،1993،ص102) بالإضافة إلى مرض البهاق الذين انتشرا بكثرة في هذه البلاد(مزدور سمية، 2008-2009، ص142)،مع وجود فرق بين مرض البهاق والبرص فالبهاق يصيب جزء من الجسم في حين البرص يصيب كل الجسم (http://mawdoo3.com).

2.**أمراض الرأس:**

صداع الرأس: هو وجع في الرأس لا يكون مصحوبا بالحمى (الحسن الوزان، 1983، ص83)و(مزدور سمية، 2008-2009، ص143)و(عبد العزيز فيلالي، 2002، ص244) ومنه كذلك مرض **الشقيقة والبرنسام** وهي كلها أمراض تصيب الدماغ(إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، ص103).

أمراض الفم: مثل أمراض الأسنان والمسبب الرئيسي لها في تلك الفترة هو شرب الماء البارد مباشرة بعد الحساء الحار(الساخن)(الحسن الوزان، 1983، ص83)، كانت منتشرة بكثرة بين الناس(مزدور سمية، 2008-2009، ص143)، كذلك عرفت أمراض **القلاع والسلاق muguet buccal** التي تعم الفم واللسان- على شكل فطريات- خاصة عند الأطفال في سنهم المبكر (إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، ص103)(التعليق رقم 07).

مرض البلعوم(الحنجرة): وهو مرض يصيب الحلق فيتورم ويلتهب وهذا يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم(عبد العزيز فيلالي، 2002، ص244).

3.أمراض المعدة: كانت منتشرة في المجتمع الوسيط مصحوبة بالإسهال والأوجاع الحادة في الأمعاء(الحسن الوزان، 1983، ص83)، وهي معروفة بداء البطن ويطلقون على المريض بالمبطون والذي يصاب به له منزلة الشهداء(التعليق رقم 08)، ومن أشد أمراض البطون في تلك الفترة **مرض الإسهال الشديد** الذي يعتبر من أشد أمراض البطون فتكا بالكبار والصغار، فقد توفى به مجموعة من الفقهاء أمثال الشيخ أحمد الماوسي ت874ه/1469ه(مزدور سمية، 2008-2009، ص142).

4.أمراض الهيكل الهضمي والأعصاب:

ألم النسا la sciatique : يذكره الحسن الوزان باسم(بوزلوم) وهذا الاسم يستعمل حتى الآن، وهو مرض يصيب الإنسان بسبب كثرة جلوسه على الأرض دون لبس سراويل ويتصل بهذا المرض وجع الركب(الحسن الوزان، 1983، ص83).

مرض النقرس goutte : لا يصيب إلاّ القليل من الناس وهو مرض يحدث آلاما في المفاصل خاصة مفاصل أصابع اليدين والقدمين، يشتد الوجع أكثر في الليل، من أسبابه الإفراط في تناول

لحم الدجاج وشرب الخمور وباقي الأطعمة الشهية (الحسن الوزان، 1983، ص83). ولذلك عرف بداء الملوك(مزدور سمية، 2008-2009، ص143).

مرض الفتق أو البعج(hernie) : هو مرض غير منتشر في بلاد المغرب مقارنة مع المشرق يصيب كل شرائح المجتمع (أطفال، كبار، نساء ورجال) ويضن أن من أسبابه هو أكل الصمغ والإكثار من أكل الجبن المالح(الحسن الوزان، 1983، ص85)، والفتق حسب تعريف الطب الحديث هو عبارة نتوء غير طبيعي من خلال جدار البطن، وهو إما يكون خلال الولادة أو مكتسب خلال مراحل العمر، وله عدة أشكال (التعليق رقم 09).

5.الأمراض صدرية:

الذبحة والزكام والسعال الديكي: وهي أمراض انتشرت في بلاد المغرب ومن أسبابها الجلوس على الأرض دون فراش في فصل الشتاء(مزدور سمية، 2008-2009، ص143)، ومرض الذبحة أو ما يعرف بالنزلة فهو مرض صدري يسبب للمريض ضيقا في التنفس(عبد العزيز فيلالي، 2002، ص244)، وهو من الأمراض الخطيرة(إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، ص103) ربما لما لها علاقة بعضلة القلب.

مرض ذات الجنب(التهاب الجنبة pleuritis): هذا المرض عند الأطباء نوعان:حقيقي وغير حقيقي. فالحقيقي: ورم حار يعرض في نواحي الجنب في الغشاء المستبطن للأضلاع، وغير حقيقي: ألم يشبهه يعرض في نواحي الجنب عن رياح غليظة مؤذية تحتقن بين الصفاقات فتحدث وجعا قريبا من وجع ذات الجنب(ابن القيم الجوزية، 1998، ص76)، ذكر الوزان أن عددا من الناس يصاب بذات الجنب(الحسن الوزان، 1983، ص84).

أمراض الخرانيق: هذا المرض يؤدي إلى ضيق التنفس مما يجعل الفم دائم الانفتاح، كذلك صعوبة الابتلاع وجحوظ العينين، وقد تتطور الأمور إلى انتفاخ الرقبة والوجه، ومن أهم أسبابه برودة الجو(عبد العزيز فيلالي، 2002، ص245)(التعليق رقم 10).

6.أمراض أخرى:

مرض الفالج hémiparésie: وهو مرض عرف في مجتمع المغارب في العصر الوسيط وقد توفى به السلطان المريني أبو عنان سنة755ه/1354م.وهو استرخاء جانب أو عضو في البدن ويكون كليا أو جزئيا(مزدور سمية، 2008-2009، ص142)، وهو عبارة عن ضعف جزئي لقوة العضلات يصيب الجزء الأيمن أو الأيسر للجسم(ما يعرف بالشلل النصفي) سببه وقوع خلل في الدماغ، هذا الخلل يكون منذ الولادة أو نتيجة تعرض الجسم لما يعرف بمرض(السكتة الدماغية)، (AVC Accident vasculaire cérébral. (http://sante-medecine.journaldesfemmes.com

مرض الديماس: هو مرض مجهول توفى به السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن703ه/1203م(عبد العزيز فيلالي، 2002، ص244).

داء الشاخة: مرض مجهول(عبد العزيز فيلالي، 2002، ص244).

المرض المجهول: الذي أصيب به العالم أحمد بن مرزوق والد الخطيب، حيث أصاب ساقيه وركبتيه وورکيه وأقعده في الفراش، وقد استلزم الأمر حمله على الأكتاف إلى المساجد وخلال الطواف في مكة المكرّمة، وقد عجز الأطباء على شفائه رغم ما وصفوه له من أدوية ومراهم، لكنه بدأ يتحسّن رويدا رويدا إلى أن شفي بفضل الله، منهم من احتمل أن يكون هذا المرض عبارة عن شلل بسيط سرعان ما انجلى عليه(عبد العزيز فيلالي، 2002، ص245).

مرض الشناج attaque convulsive: مات به الطبيب الفار وهو طبيب من إشبيلية له كتاب يصفه ابن أبي أصيبعة بالجيّد في الأدوية المفردة، وسبب إصابته بهذا المرض حسب نفس

الراوي هو قلّة أكله لثمرة التين(ابن أبي أصيبعة، 1995، ص67)، (Salah Ould Moulaye, 2004, p202)

مرض النغلة verrue sénile a dégénérescence maligne: مات بها أبو مروان بن أبي العلاء بن زهر وسبب ذلك حسب ابن أبي أصيبعة هو كثرة أكله لثمرة التين(ابن أبي أصيبعة، 1995، ص67)،(Salah Ould Moulaye, 2004, p202).

مرض الفواق(الحازوقة): كان سببا في وفاة أحد القضاة حسبما ذكره صاحب نظم الجمان (بوتشيش، 1993، ص103)، تصيب الحازوقة أو الفواق جميع الأشخاص على اختلاف أعمارهم، وهي عبارة عن حركة لا إرادية تنتج عن تقلص الحجاب الحاجز وبشكل مفاجئ، وبالتالي مرور الهواء خلال الأوتار الصوتية الأمر الذي يُحدِث اهتزازاً عنيفاً وخروج صوت الحازوقة المميز. وهناك أنواع للفواق فالذي يستمر لثواني أو دقائق هو غير خطير، ومنها ما يدوم ليومين أو عدة أيام(الحازوقة الدائمة والحازوقة المستعصية)، وفي كلتا الحالتين يجب أخذ الحيطة والحذر لأن الإصابة بها قد تسبب الوفاة(http://mawdoo3.com).

مرض الكبد: عرف هذا المرض في بلاد المغرب وكان يصيب الرجال والنساء(مزدور سمية، 2008-2009، ص143).

مرض الشلل: كذلك تعرض سكان بلاد المغرب الإسلامي إلى مرض الشلل(مزدور سمية، 2008-2009، ص143).

مرض السلس: مرض به الشيخ أبو إسحاق بن علي الخياط (مزدور سمية، 2008-2009، ص143) وهو ما يعرف بالتبول اللاإرادي وترتبت عليه أحكام فقهية فيما يتعلق بفقه الصلاة.

أمراض الأعصاب: هذا المرض يصيب الأطفال ويشفون منه كلما تقدم بهم العمر، كذلك تصاب به النساء(الحسن الوزان، 1983، ص85)، مرض به أحد أبناء الشيخ الهواري(التعليق رقم 11)، فجعله يقوم بأشياء طائشة فأصبح يلقب بالهائج(مزدور سمية، 2008-2009، ص143).

داء الصرع والجنون: هي أمراض كانت معروفة في بلاد المغرب(إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، ص103)، (مزدور سمية، 2008-2009، ص143)إلا أن الوزان حاول أن يفرق بين ما هو مرض عصبي وما هو صرع من الجان مستعملا كلمة "بلاهة" ربما لأن الأطفال والنساء المصابين بمرض الأعصاب تعرّضوا لنوع من الإهانة والتهميش في المجتمع المغربي نتيجة لعدم التمييز بين المرضين الأعصاب ومس الجن(الحسن الوزان، 1983، ص85).

أمراض النساء والتوليد: كانت منتشرة في بلاد المغرب لكن المصادر لم تزودنا بالمعلومات الوافية عنها(مزدور سمية، 2008-2009، ص143)، ورد في المراجع أن طب الأمراض النسائية والتوليد تقدم في بلاد المغرب والأندلس وذهب الأمر حتى صدور مؤلفات مختصة في هذا المجال أهمها: " خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين " للعالم والمؤرخ عريب بن سعد القرطبي (عبد العزيز فيلالي، 2002، ص245).

3. وسائل و طرق العلاج في بلاد المغرب الإسلامي :

1.3 مفاهيم عامة حول العلاج:

أ.**معنى الأمزجة والأخلاط في جسم الإنسان:** يتألف الجسم البشري كغيره من الأجسام من أربعة عناصر النار والهواء والماء والتراب ولكل عنصر خاصيته، كما أنه يحول المواد الموجودة في الأغذية إلى مواد حيوية تتغذى منها أعضائه، فتنتقل هذه المواد المغذية للجسم عبر العروق بعد هضمها في المعدة والأمعاء إلى الكبد والطحال والمعدة مرة ثانية والرئة لتحول إلى دم وصفراء والسوداء وبلغم، وهذا ما يعرف بالأخلاط وهي إما أن تكون جيّدة أو رديئة، فالجيد منها يكون ضروريا للجسم وتصبح جزءا منه، والرديئة هي التي يطرحها خارجا على شكل فضلات(الغائط والبول والمفرزات الأنفية والجلدية وغيرها..)، وهذه الأخلاط تكون لنا ما يعرف بالأمزجة، فإذا

كان الاختلاط السابق متساويا متوازيا يكون الجسم في حالة صحة والعكس ينتج عنه المرض(عبد الكريم شحادة، 2005، ص42-43).

ب.أهم الفحوصات المعتمدة لتشخيص المرض: أكد الأطباء على ضرورة التشخيص الجيّد والدقيق للمرض قبل البداية بوصف الدواء، كاستجواب المريض وفهم أعراض المرض وعلاماته، ثم فحصه فحصا سريريا بالنظر والجس والشم، ومن ذلك جس النبض، وفحص البول، ومعاينة الدم والبصاق، وملاحظة لون البشرة والعين وغيرها من الفحوصات السريرية(عبد الكريم شحادة، 2005، ص62). وهذا العمل تفرّد به العرب على الغرب في العصور الوسطى حيث أنهم اعتمدوا على التجربة ومحاكاة المرض في حين عمد غيرهم في أوروبا على اعتبار الأمراض عقوبة إلهية تحل بالمجرمين والسفلة، وقد دعت الكنيسة إلى عزل المرضى وإقصائهم، أما مجمعاتهم العلمية فكانت تقتصر على النظري أكثر منه التطبيقي(الربعي بن سلامة، 2009، ص222-226).

ج.الأدوية والعلاج: ينصح الأطباء بضرورة الإعتماد على الطب الوقائي الذي يعمل على حفظ الصحة قبل فسادها بالمرض، وذلك بمجموعة من التدابير كإصلاح البيئة وعادات الإنسان وغيرها(عبد الكريم شحادة، 2005، ص62).

إعتمد المغاربة كغيرهم في بلاد الإسلام في تداويهم على ثلاثة أنواع من العلاج، العلاج البدائي التقليدي والعلاجي الروحاني والعلاج الطبي المتخصص.

العلاج التقليدي: في العصر المرابطي على سبيل المثال انتشرت طرق الاستشفاء البدائي نتيجة أن أغلب سكان الدولة كانوا قليلي الدخل، هذا ما دفع بعض الأطباء والفقهاء إلى محاولة التصدّي لهذه الظاهرة كما كان الحال مع ابن رشد حين أصدر فتوى حول عطار من مدينة سبتة يصنع الدواء بنفسه، وهذا يدل على إقبال المجتمع المغربي على الطب الشعبي، كذلك كان الحال مع ابن عبدون حين قال:(لا يبيع الشراب ولا المعجون ولا يركّب الدواء إلا الحكيم الماهر ولا يشتري ذلك من عطار ولا شرائبي، فإنهم حرصاء على أخذ الثمن بلا علم فيفسدون الفتوّة ويقتلون الأعلاّء لأنهم يركبون أدوية مجهولة مخالفة للعمل)(إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، ص103).

كذلك مثلت مياه الحمات(الحمامات المعدنية)إقبالا كبيرا من قبل المرضى لنجاعتها في شفاء أمراض عديدة كالفالج، بالإضافة إلى استعمالهم للمياه المعدنية لتطهير الأبدان، كشربهم لهذه المياه من أجل إسقاط الحصى من الكلى، وتطهير البدن من العلق فتسقطه من حينه(إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، ص104).

العلاج الروحاني: ولم يكن العلاج الروحاني بغريب عنهم وهو المتمثل في تعلّق المرضى بالأولياء والصالحين كما فعل أهل فاس مع أبي يعزى يلنور بن ميمون(التعليق رقم 12)، الذي كان له كرامات فكان يقصده الناس للتداوي من الأمراض المزمنة والمستعصية التي يعجز أمامها الأطباء(إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، ص104)(التعليق رقم13). كذلك ما حدث للخطيب ابن مرزوق لما تعرض لمرض يئس الأطباء من شفائه، فلم ينجح معه إلا دعاء والده أبي العباس أحمد وهو الولي الصالح فدعا له بالشفاء فشفاه الله تعالى(عبد العزيز فيلالي، 2002، ص246).

العلاج الطبي بالأدوية: استعمل الأطباء ما يعرف بالعقاقير لمعالجة المرضى وهي إما أن تكون مفردة أو مركبة(التعليق رقم 14)، وقد اهتم بدراستها الأطباء، وجعلوا لهم فصولا في كتبهم تتحدث عن الأدوية مفردة كانت أو مركبة، فابن سينا خصص لها جزأين من مؤلفه(القانون)، وكذلك فعل الرازي في كتابه الحاوي، وابن زهر في كتابه التيسير في المداواة والتدبير(رحاب خضر عكاوي، 2000، ص326)، والأدوية إما أن تكون من أصل نباتي أو حيواني أو معدني(رحاب خضر عكاوي، 2000، ص332).

أنواع هذه الأدوية: يعرف علم الأدوية (pharmacologie) في المؤلفات العربية باسم(الأقراباذين) وهو علم هام برع فيه العرب يبحث في خصائص الأدوية وفوائدها وأضرارها وكيفية استعمالها ومدة حياتها وأوقات استعمالها، وهي تصنف إلى نوعين:

الأدوية مفردة: هي مواد تؤخذ من مصدرها النباتي أو الحيواني أو المعدني دون خلطه بمواد أخرى، وهذه الأدوية لها عدة أنواع: فمنها الأدوية الملطّفة، والمليّنة، والمخشّنة، وأخرى مرخية، ومنضجة، وهناك الهاضمة، ومكسّرة الريح في البطن، والمقوية والمخدّرة، والمرمّمة، والمسهّلة، والمحرقة، والمدرة للبول،...الخ، كان أطباء المغرب والأندلس يفضلون استعمال الأدوية المفردة على المركبة.

الأدوية مركبة: هي مزيج بين دوائين مفردين أو أكثر وتصنع بأشكال مختلفة:

-الأطريفلات مفردها أطرفيل: معجون يستعمل لتعديل الأخلاط السوداوية والبلغمي.

-الجوارشنات مفردها جوارشن: خليط من الأدوية تساعد على الهضم وتقوية القلب.

-الايارجات مفردها أيارج: تستعمل لإستفراغ أخلاط البطن، وتفيد في الصداع.

-الأقراصpastille: هي مواد جامدة مستديرة مجفّفة تستعمل في معالجة أمراض كثيرة.

-السّفوفات ومفردها سفوف(poudre): وهي كل دواء يابس غير سائل وغير معجون تستعمل في حالات الإسهال.

-الأشربة: تحضر غالبا من الأزهار أو عصير الفواكه.

-الغراغر: دواء سائل يغرغر في الفم يستعمل لأوجاع الحلق.

-السعوطات أو النشوقات: دواء مسحوق يدخل من الأنف ليثير العطاس.

-الإكحال والشيافات: لأمراض العين.

-الحقن: وهي عدّة أنواع وهي تأخذ عن طريق الشرج ومنها الفتايل أما الفرزجات التي تعطى عن طريق المهبل، ولها عدة فوائد فالفتايل تستعمل لتفريغ وتليين الأمعاء أو تخفيف آلام القولون وهي بحجم نوى التمر، أما الفرزجات كانت تستعمل لإسقاط الأجنة الميتة أو لمنع الحبل أو لتحفيزه، وكانت تستعمل لأمراض الرحم.

بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الأدوية. وتحضير هذه الأدوية سواء كانت مفردة أو مركبة يتم بوسائل شتى، كالطبخ والسحق والتحميص والإجماد بالتبريد أو بمجاورة دواء لدواء آخر، والتكليس والتشميع والتبلور...الخ، كما ابتكروا الشراب الحلو المستخرج من نبات الكرنب وهو لا يزال يعرف عند الغربيين باسم (sirop)(عبد الكريم شحادة، 2005، ص56-58)و(نهاد عباس زينل،1971، ص310).

2.1 أساليب العلاج في بلاد المغرب:

أ.أحوال بلاد المغرب العلاجية: بطبيعة الحال لم يكن المغرب الإسلامي بمنأى عن بقية البلاد الإسلامية والأعجمية فيما يتعلق بطرق العلاج، خاصة وان كتب الطب انتشرت بكثرة في تلك الفترة ككتاب"الأسرار" للرازي(أبو بكر محمد بن زكرياء251-313ه/865-925م) وكتاب الحاوي لنفس الطبيب وله مجموعة أخرى من الكتب الطبية وهو من أشهر ما أنجبته الحضارة العربية في الطب، وابن الجزار القيرواني(369-285ه/895-980م) الطبيب ابن الطبيب وكتابه زاد المسافر وله كتاب آخر باسم " كتاب الأدوية المفردة" وكتب أخرى، كذلك الزهراوي (أبو القاسم خلف بن العباس 325-403ه/936-1012م) وهو من اكبر جراحي زمانه، صاحب أول تأليف في الجراحة عند المسلمين وأول من استعمل الخيط الحريري لربط الشريان، وأول من استعمل أمعاء الحيوانات كخيوط جراحية إلى غير ذلك من الإنجازات في مجال الطب، له عدة مؤلفات نقلت إلى أوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، أشهرها كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف"، وابن سينا(أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي 730-428ه/

980-1037م) المعروف باكتشافاته الرائدة في مجال الطب وله عدة مؤلفات في الطب والصيدلة ككتاب "القانون"، و" النجاة"، و" الشفاء"....الخ (عبد الكريم شحادة، 2005، ص177-181).

غير أن الباحث في طرق ووسائل العلاج في بلاد المغرب الإسلامي يجدها تعتمد بالأساس على طرق العلاج التقليدية والروحانية أما العلاج الطبي بالأدوية كان قليل الاستعمال فنجده غالبا في قصور الحكام والولاة أو في البيماريستانات وهي متاحة للأغنياء بصفة خاصة، فلم يكن السواد الأعظم من سكان هذه البلاد ليتمكن من العلاج بهذه الأدوية فاتجهوا نحو العلاج التقليدي والروحاني(إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، ص103).

ب.بعض طرق العلاج: استعمل زيت الهرجان في معالجة الكلى، وشحوم النعام لمعالجة الصمم وأوجاع البدن، والحناء لمعالجة صداع الرأس، وحبة اللبان لتخفيف آلام الأسنان، وقد نقل عن ابن زهر استعماله لشراب الورد يكتحل به لمعالجة بصره وتقويته، واستعملوا دهن الصنوبر لمعالجة مرض الفالج، ولجأ بعض المغاربة إلى لحوم بعض الحيوانات كالسلحفاة لمعاجلة مرض الجذام بتناوله سبعة أيام متتالية، كما استعملوا لحوم بعض الحيوانات البحرية لعلاج داء النقرس والفالج والبرد(إبراهيم القادري بوتشيش، 1993، ص103)، وذكر البكري أن أحد ملوك غانة بعث إلى أحد الأمراء نبات لعلاج مرض العقم(البكري أبو عبيد، دس، ص184).

كما استعمل في العلاج اللقاح والفصد والتفريغ(عملية الإسهال وتطهير الأمعاء)، والحجامة وكانت هذه الأساليب أكثر شيوعا(التعليق رقم 15)، كما استعملوا حب الزنم(التعليق رقم 16) وهو دواء يصلح للأمراض التناسلية والجنسية، وحب العروس وهو شراب يعالج الصداع ووجع الأسنان(عبد العزيز فيلالي، 2002، ص246)، وقد كان من عادة أهل المغرب تقديم مرق الشربة بالدجاج لمعالجة الزكام الشديد، كما عالجوا مرض الرمد بدواء يحضر بخلط ثمار الحضض واللبن وتطلى به الأجفان وتغسل العينين، كما كان معتمدا في علاج وجع الضرس عملية قلعها وتسكين ألم مكان الضرس باللبان(ابن رشد أبو الوليد، 1987، ص912).

عرف علماء الطب في بلاد المغرب الإسلامي دواء الهيلون(المعروف عندنا بالسكوم) النافع في التوليد، وهو دواء يعدل البدن ويصلح فساده، كذلك اكتشفوا دواء ينقي أوردة الرحم ويفتح انسدادها عند النساء اللواتي لا يلدن، بالإضافة إلى حقن الرحم بحقن تمنع سقوط الجنين. وبطبيعة الحال اعتنوا بصحة الطفل منذ ولادته لما كانت تعتريه من أمراض كالحصبى والجدري وورم السرة بالإضافة إلى السعال والربو العارض(عبد العزيز فيلالي، 2002، ص245-246).

نتائج الدراسة: يمكن أن نوجز أهم نتائج هذه الدراسة في العناصر التالية:

- تمكن المسلمون الأخذ من معين الأمم الأخرى وخاصة في مجال العلوم العقلية، لكنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد بل قاموا بتطوير وتحسين هذه العلوم فكانوا قاعدة الأساس لعصر النهضة في أوروبا.
- سبق العرب الغرب في إدخال التجربة على هذه العلوم، فمثلا إذا قرأت كتاب القانون لابن سينا في الطب تجده عمليا أكثر منه نظري، فلا يكاد يترك جزءا من أجزاء الجسم إلا ووضع له تشريحا، كذلك فعل الزهراوي الذي عرف كأول جراح في الدولة الإسلامية.
- نجد أن الأمراض في بلاد المغرب الإسلامي ترتبط بمجموعة عوامل تزيد من إمكانية حدوثها بل وتتسبب في توطنها، من هذه العوامل:

ما يكون فوق طاقة البشر كتغير المناخ وعدم انتظامه، التأثيرات الفلكية، تسلط قوى غيبية لا يسع البشر التحكم فيها كوخز الجان للإنس، غير أن هذه الأخيرة يمكن أن يكون للبشر التدخل المباشر فيها وذلك عن طريق السحر.

وهنالك عوامل أخرى تكون ناتجة عن تجني البشر بعضهم على بعض، كالحروب الشبه الدائمة التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، والتي يمكن أن تنجر عنها

المجاعة، هذه الأخيرة تعتبر من العوامل المهمة في انتشار المرض، كذلك فساد الماء والهواء الذي يؤدي إلى ظهور الأمراض العديدة وتعتبر الحروب من العوامل الرئيسية لتدهور نقاوة الماء والهواء.

- عرفت هذه البلاد أمراضا فتاكة وأخرى متوطنة تفاوتت من حيث الخطورة أحصاها الأطباء في ذلك العصر، وفي الغالب لم تكن هذه الأمراض وليدة مجتمع المغرب الإسلامي حيث كانت منتشرة في المجتمعات الأخرى سواء في المشرق الإسلامي أو في أوروبا، على خلاف أمراض أخرى عرفت في هذه البلاد لأسباب محددة كمرض الزهري والذي قيل فيه أنه انتقل مع دخول اليهود إلى بلاد المغرب بعد طردهم من الأندلس.
- اجتهد الأطباء في محاربة هذه الأمراض فوضعوا لها طرقا للوقاية والعلاج فاختلفت أساليب العلاج بين ما هو تقليدي وما هو روحاني وما هو طبي علمي، لكن ورغم حرص الأطباء والمثقفين إلاّ أن العلاج الروحي والتقليدي لقي رواجا في بلاد المغرب الإسلامي، وذلك راجع في الأساس للوضعية المادية الضعيفة للسواد الأعظم من سكان هذه البلاد.

خاتمة:

تضافرت مجموعة من العوامل والأسباب أدت إلى ظهور وانتشار الأمراض والأوبئة في بلاد المغرب الإسلامي، من هذه الأمراض ما اتصف بصفة التوطّن، ومنها ما كان يحدث بين الفترة والأخرى.

من هذه الأسباب ما هو راجع إلى سلوكيات المجتمع المغاربي في طريقة العيش، كتناولهم للطعام بطريقة غير صحية وغير منتظمة، وكذلك فساد الهواء والماء في المنطقة، وهما عنصران ضروريان للحياة، واللذان يفسدان نتيجة عوامل عديدة منها ما هو مرتبط بالبيئة كتغير المناخ وعدم انتظامه، والبعض الآخر له علاقة مباشرة مع الإنسان كالأبخرة المنتشرة والمضرة والتي تكون نتيجة فساد الطعام المكدّس في المطامير بطرق غير سليمة، وكذلك نتيجة تعفن أجساد البشر والحيوانات بعد الحروب والتي تركت دون دفن. كما لا نهمل عامل العمران وما له من تأثير على الهواء والماء، فكلما اقتربنا من المدن زاد احتمال التعفن نتيجة كثرة الأبنية وساكنيها، وما يزيد الطين بلة هو عدم بناء المدينة وفق أسس معمارية صحيحة، فكثيرا ما كانت تفتقر لقنوات الصرف الصحي مثلا أو كانت الطرق فيها غير منتظمة.

وكانت المجاعة في بلاد المغرب الإسلامي من الأسباب التي لا يستهان بها في ظهور وانتشار الأوبئة والأمراض، سواء كانت نتاج للكوارث الطبيعية أو بسبب التدخل البشري كالحروب الطاحنة، أو تعسف الحكام على الرعية بأن يفرضوا عليهم ضرائب ورسوم دون قيود لإنجاد الخزينة وفي الغالب ما يكون عوزها لسوء تصرفهم، لكن الملاحظ أن المجاعة لم تكن دائما سببا في وقوع الأوبئة والأمراض.

عرفت هذه البلاد أمراضا وصفت بأنها فتاكة كالطاعون والجذام والزهري ولحسن الحظ لم تكن هذه الأمراض مستوطنة، وهناك أمراض أخرى عرفت في هذه البلاد وهي أقل خطورة وأقل حصدا للأرواح، وهي ما تعرف بالأمراض المتوطنة أي تلك الأمراض التي تنتشر بين الناس مألوفة عندهم كالأمراض الجلدية وأمراض الرأس وأمراض المعدة وأمراض الهيكل العظمي، بالإضافة إلى أمراض أخرى كثيرة تطرقنا لبعضها في البحث.

تنوع العلاج في بلاد المغرب الإسلامي من علاج تقليدي أو ما يعرف بالطب الشعبي، وكان هذا النوع من العلاج هو الأكثر انتشارا بين الناس وذلك راجع إلى قلة دخل السواد الأعظم من الرعية، كان هذا النوع من العلاج يتسبب أحيانا في الضرر للمريض لان مزاوليه أكثرهم كانوا من العطارين الذين يجهلون تفاعلات الأدوية، كما عرف العلاج الروحاني والذي تجسد في طلب الشفاء بالقرآن والسنة النبوية كما كثر تعلق المرضى بالأولياء والصالحين أحياءً كانوا أو أمواتاً،

وقد ظهر نوعين من المداوين الرقاة والمشعوذون الدجالون، بالإضافة إلى التجاء المجتمع المغاربي في العصر الوسيط إلى العلاج الطبي بالأدوية والعقاقير، وهو ما كان يمارس من قبل المختصين في العيادات والبيمارستانات، مما كان عائقا كبيرا أمام أغلب السكان الذين لم تسعفهم حالتهم المادية من استعمال هذا النوع من العلاج.

أما عن أساليب العلاج فكانت تتناسب مع المرض المعالج من جهة ومع طريقة العلاج المتبعة، فمنها ما كان يعتمد على الأعشاب والزيوت وحتى بعض المستخلصات الحيوانية، كما عرف اللقاح والفصد والتفريغ والأدوية مركبة كانت أو مفردة لعلاج مختلف الأمراض المتوطنة.

التعليقات:

1. هذا القول للإمام الشافعي وليس حديث شريف ينظر المكتبة الشاملة، http://shamela.ws/browse.php/book-1485/page-221

2. هذا الحديث لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقال انه من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب ينظر ابن القيم الجوزية: المصدر السابق،ج4،ص108والبرْدة هي التخمة (الفيروز آبادي مجد الدين محمد، 2005، ص267).

3. الأدم هو ما يضاف مع الخبز فيطيبه كالمرق والدسم وغيرهما، قاموس المعاني www.almaany.com قال صلى الله عليه وسلم : (نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ) سنن ابن ماجه الحديث رقم 3316.ابن ماجه ، سنن ابن ماجه، ج1ص1102).

4. وقد بين ذلك عبد الرحمن بن خلدون فيقول: (ثم إن الأهوية فى الأمصار تفسد بمخالطة الأبخرة العفنة من كثرة الفضلات)، (عبد الرحمن بن خلدون،2002، ص422).

5. هو أبو الوليد خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي 403-474ه أنظر ترجمته عند (ابن فرحون المالكي، 1996، ص197 وما بعدها).

6. حسب الحسن الوزان فإن هذا المرض الجلدي حمله اليهود الذين طردوا من الأندلس من قبل الملك فاردينوند إلى بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين، الوزان (الفاسي الحسن بن محمد، ص83-84).

7. يعرف هذا المرض الآن (بالحرّ).

8. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما تعدون الشهيد فيكم؟)، قالوا: يا رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال:(إن شهداء أمتي إذاً لقليل)، قالوا: فمن هم؟ يا رسول الله قال: (من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد)، قال ابن مِقْسَمٍ: أشهد على أبيك في هذا الحديث أنه قال: والغريق شهيد، قال ابن مقسم : أشهد على أبيك، في هذا الحديث أنه قال:(والغريق شهيد)، (مسلم بن الحجاج،2006،ص924 حديث رقم 1915).

9. الفتق هو عبارة نتوء غير طبيعي من خلال جدار البطن، وهو إما يكون خلال الولادة أو مكتسب خلال مراحل العمر، وله عدة أشكال (Abe Fingerhut, Alexandre Somogyi, Jacques Quevauvilliers, p439).

10. ذكر ابن سنا هذا المرض باسم الخوانيق (suffocating)،(ابن سينا أبي علي 1999،ج2ص287) وما بعدها.

11. هو الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري ينظر ترجمته عند: (التنبكتي احمد بابا، 2000 ، ص516-518).

12. أنظر أحواله وشيئا مما قيل في كراماته عند (التادلي يوسف بن يحيى، 1997، ص213).

13. يجب أن نعلم أن كثير من الأولياء سقطوا في كثير من الشركيات فليس كل ما كانوا يداوون به الناس كان مقبولا دينا ولا حتى علما.

14. الدواء المفرد وهو الدواء الذي يأخذ من مصدره النباتي او الحيواني أو المعدني دون خلطه أو مزجه بدواء آخر. أما المركب فهو ناتج عن مزج دوائين بسيطين أو أكثر،(عبد الكريم شحادة،56،2005-57).
15. لمعرفة طرق العلاج يراجع (عبد الكريم شحادة: 2005، ص59-61).
16. ربما هو حب الزلم والذي يعرف في المغرب بفلفل السودان وهو عبارة عن حب مفرطح لذيذ الطعم،(ابن البيطار، ص472).

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن خلدون عبد الرحمن(2012)، المقدمة، اعتنى به: مصطفى شيخ مصطفى، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، سوريا.
3. الأزرق إبراهيم ابن عبد الرحمن بن أبي بكر(دس)، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، طبع بالمطبعة الخيرية.
4. ابن أبي أصيبعة(1995)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشره اوجست مُلَر، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ألمانيا الإتحادية.
5. ابن البيطار(1992)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
6. البكري أبو عبيد:المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، مصر.
7. التنبكتي احمد بابا(2000)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، دار الكتاب، طرابلس.
8. التادلي يوسف بن يحيى(1997)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،المغرب.
9. الحافظ بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق احمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض.
10. عماد الدين الجبوري، حركة الترجمة فى حضارة العرب الإسلامية، شبكة البصرة، الموقع الإلكتروني http://www.albasrah.net، تاريخ النشر الاثنين 15 محرم 1435 / 18 نوفمبر2013.
11. ابن رشد أبي الوليد(1993)، مسائل أبي الوليد ابن رشد(الجد)، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، الطبعة الثانية، دار الجيل بيروت، دار الآفاق الجديدة المغرب.
12. ابن رشد أبي الوليد(1987)، فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق المختار بن الطاهر العليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان.
13. الربعي بن سلامة(2009)، الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
14. رحاب خضر عكاوي(2000)، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، لبنان.
15. ابن سينا أبي علي الحسين بن علي(1999)، القانون في الطب، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان.
16. أحمد السعداوي(1995)، المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون، الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته، القرنين 9-8ه/14-15م، معهد الآداب العربية IBLA، العدد58، الرقم 175
17. راغب السرجاني(2009)، قصة العلوم الطبية في الحضارة العلمية، الطبعة الأولى، مؤسسة اقرأ، مصر.
18. الطبراني أبي القاسم سليمان(1995)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، مصر.
19. العقباني التلمساني أبي عبد الله محمد(1967)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، Extrait du Bulletin d'Etudes Orientales de l'Institut (Français de Damas, Tome XIX).

20.عبد العزيز فيلالي(2002)، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفر للنشر، الجزائر.
21.ابن القيم الجوزية شمس الدين(1998)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
22.عبد الكريم شحادة(2005)، صفحات من التراث الطبي العربي الإسلامي، المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، أكاديميا انترناشيونال، بيروت لبنان.
23.نهاد عباس زينل(1971)، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطى 92-897ه/711-1492م، دار الكتب العلمية، لبنان.
24.ابن فرحون المالكي(1996)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، لبنان.
25.الفيروز آبادي مجد الدين محمد(2005)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان.
26.إبراهيم القادري بوتشيش(1993)، المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع- الذهنيات- الأولياء، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
27.مزدور سمية(2009-2008م)، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588-927ه/1192-1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري – قسنطينة (الجزائر).
28.مسلم بن الحجاج(2006)، صحيح مسلم، حققه. نظر بن محمد الفاريابى أبو قتيبة، دار طيبة.
29.ابن ماجه أبي عبد الله محمد ابن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة مصر.
30.الوزان الفاسى الحسن بن محمد(1983)، وصف أفريقيا، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، لبنان.
31.http://mawdoo3.com، تاريخ الدخول إلى الموقع 2018/03/21
32.Salah Ould Moulaye(2004), l'apport scientifique arabe à travers les grandes figures de l'époque classique, Histoire plurielle, Edition Unesco, Publie par l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture, Paris, France.
33.Abe Fingerhut, Alexandre Somogyi, Jacques Quevauvilliers(2009), Dictionnaire médical, 6eme édition Elsevier Masson. Paris, France.
34.Gustave le bon(2009), la civilisation des arabes, Alger, Casbah.